مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

[الطبعة الثانية]

تمتاز بمقابلتها على نسخة مكتبة فيض الله
وبإضافات هامة في الشرح والتحقيق والتنقيح

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الخانجي بمصر
ومكتبة المثنى ببغداد
١٣٨٠ — ١٩٦١

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م

جماعة المسلمين[1] فأجْلَت كبيرَهم ، ورحِمْتَ صغيرَهم ، ووقَّرْت عالمهم . ولا تفرِ بهم فيذِلّوا ، ولا تستأثِرْ عليهم بالفَيء فتُغضِبَهم ، ولا تَحْرِمْهم عطاياهم عند محَلّها فتُفْقِرهم[2] ، ولا تجمِّرْهم فى البُعوث فتقطَعَ نسلَهم[3] ، ولا تجعل المالَ دُولةً بين الأغنياء منهم[4] ، ولا تغلقْ بابَك دونَهم فيأكُلَ قويُّهم ضعيفَهم .

هذه وصيّتى إيّاك ، وأُشْهِدُ اللهَ عليك ، وأَقرأُ عليك السلام .

رسالة عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى رحمه الله[5]

رواها ابن عُيينة[6] ، وأبو بكر الهذلىّ[7] ومَسلمة بن محارب[8] ؛ رووها عن قتادة[9] .

ورواها أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم[10] ، عن عبيد الله بن أبى حُميد الهذلىّ[11] عن أبى المليح أسامة الهُذلىّ[12] . أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى أبى موسى الأشعرىّ :

(١) يقال نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله ، أى سألتك وأقسمت عليك و« لما » هنا بمعنى إلا فى لغة هذيل . وفى الكتاب : « إن كل نفس لما عليها حافظ » .

(٢) أى عند حلول وقتها .

(٣) تجمير الجند : أن يحبسهم فى أرض العدو ويحبسهم عن العود إلى أهلهم .

(٤) دولة بين الأغنياء ، أى متداولا بينهم ، لهذا مرة ولذلك أخرى .

(٥) انظر (١ : ٢/٢٣٧ : ٤١) والكامل ٩ ليبسك .

(٦) ابن عيينة هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى الكوفى . كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين . ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ بمكة . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٤٧٦٤ وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٥٢) وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

(٨) هو مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهرى البصرى النحوى المقرى ، ترجم له فى لسان الميزان (٦ : ٣٤) وقال : « كان صاحب فصاحة » .

(٩) هو قتادة بن دعامة المترجم فى (١ : ٤٢) .

(١٠) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى ، نزيل بغداد . محدث ثقة كثير الرواية لحديث الزهرى . توفى سنة ٢٠٨ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٥٦٢ .

(١١) فى الأصول : « بن حميد » صوابه من تهذيب التهذيب . وهو أبو الخطاب عبد الله ابن أبى حميد غالب الهذلى البصرى ، روى عن أبى المليح الهذلى ، وعنه عيسى بن يونس ووكيع . وذكر أنه كان ضعيف الحديث منكره .

(١٢) سبقت ترجمة أسامة فى (١ : ٣٥٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنّ القضاءَ فريضةٌ محكمة ، وسُنّه متّبعة ، فافهَمْ إذا أُدْلِىَ إليك[1] ، فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحقّ لا نفاذَ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووَجهك[2] ، حتّى لا يطمَعَ شريفٌ فى حَيْفك ، ولا يَخافَ ضعيفٌ من جَورك . البيِّنةُ على من ادَّعى واليمينُ على من أنكَر ، والصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمين إلا صلحاً حَرَّم حلالاً أو أحلَّ حراما . ولا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَه بالأمس فراجعتَ فيه نفسَك ، وهُدِيت فيه لرُشْدك ، أن تَرجِعَ عنه إلى الحقّ[3] فإنّ الحق قديمٌ ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التَّمادِى فى الباطل . الفَهْمَ الفهمَ عندما يتلجلج فى صدرك ، ممّا لم يبلغْك فى كتاب الله ولا فى سنّة النبىّ صلى الله عليه وسلم . اعرفِ الأمثالَ والأشباه ، وقِسِ الأمورَ عند ذلك ، ثم اعمِدْ إلى أحبِّها إلى الله ، وأشبَهِها بالحقّ فيما ترى . واجعلْ للمدَّعِى حقًّا غائبا أو بيِّنة ، أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضَر بيّنتَه أخذتَ له بحقّه ، وإلاّ وجّهتَ عليه القضاء ، فإنّ ذلك أنْقَى للشكّ ، وأجلى للعَمَى ، وأبلغُ فى العُذر . المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض ، إلا مجلوداً فى حدّ ، أو مجرَّبا عليه شهادةُ زورٍ ، أو ظنيناً فى وَلاء أو قرابة ، فإنّ الله قد تولّى منكم السرائر ودَرأ عنكم بالشبهات[4] . ثمّ إياك والقلقَ والضّجر ، والتأذِّىَ بالناس ، والتنكُّرَ للخصوم فى مواطن الحقّ ، التى يُوجب اللهُ بها الأجر ، ويُحسِن بها الذُّخر ؛ فإنه من يُخلِصْ نيّتَه فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يَكْفِه اللهُ ما بينَه وبين الناس ، ومَن تَزيَّنَ للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك[5] هتَكَ اللهُ سِتْرَه ، وأبدى فعلَه . فما ظنُّك بثواب

(١) أدلى فلان بحجته ، إذا أرسلها وأتى بها على صحة .

(٢) آس بينهم ، أى سو بينهم ، واجعل كل واحد منهم إسوة خصمه .

(٣) كلمة « إلى الحق » من ل والكامل ٩ ليبسك .

(٤) ل : « بالبينات والأيمان » .

(٥) فيما عدا ل : « بما يعلم الله خلافه منه » .

غير الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته[1] . والسلام عليك .

خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه[2]

قال أبو عبيْدة مَعمر بن المثنى : أول خطبة خطبها على بن أبى طالب رحمه الله[3] أنّه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه[4] :

أما بعد فلا يُرْعِيَنَّ مُرعٍ إلا على نفسه[5] ؛ فإنَّ مَن أرْعَى على غير نفسه شُغِل عن الجنة والنارُ أمامَه[6] . ساعٍ مجتهد ينجو[7] ، وطالبٌ يرجو ، ومقصِّر فى النار . ثلاثة ، واثنان : ملَكٌ طارَ بجناحيه ، ونبىٌّ أخَذَ الله بيديه ، ولاسادس[8] . هَلَكَ من ادّعى ، وردِىَ مَن اقتحم ؛ فإنّ اليمين والشِّمال مَضَلَّة ، والوسطَى الجادَّةُ[9] ، منهجٌ عليه باقِى الكتاب والسنّة ، وآثارُ النبوة . إنّ الله ٢٦٦ دَاوَى هذه الأمّة بدواءين : السَّيف والسوط[10] ، فلا هوادةَ عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم وأصلِحوا فيما بينكم[11] ، والتَّوبة[12] من ورائكم . مَن أبدى صفحَتَهُ للحقّ هَلَك . قد كانت لكم أمورٌ مِلتُم علىّ فيها مَيلةً لم تكونوا

(١) الكلام بعد كلمة « فعله » إلى هنا من ل فقط .
(٢) هذا العنوان فى ل ، ه فقط . وفى ه : « أول خطبة خطبها على بن أبى طالب رضى الله عنه » .
(٣) فى العقد : « أول خطبة خطبها فى المدينة » . وفى شرح ابن أبى الحديد (١ : ٩٠) . « ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) .
(٤) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال » : (٥) الإرعاء : المراعاة والملاحظة والإبقاء والمحافظة .
(٦) الكلام قبل « شغل » فى البيان فقط . ورواية ابن أبى الحديد وابن قتيبة : « شغل من الجنة والنار أمامه » . وانظر تفسير ابن أبى الحديد .
(٧) كلمة « ينجو » من ل فقط . وعند ابن أبى الحديد : « ساع سريع نجا ، وطالب بطىء رجا ، ومقصر فى النار هوى » . وانظر مثيل هذا الأسلوب فى (٣ : ١٣٦ س ١٨) .
(٨) فيما عدا ل : « بيده ولا سادس » .
(٩) جادة الطريق : مسلكه وما وضح منه .
(١٠) فى العقد وما عدا ل : « السوط والسيف » .
(١١) فيما عدا ل : « واصطلحوا » . ابن أبى الحديد (١ : ٩٢) حيث صرح بنقله عن البيان للجاحظ : « وأصلحوا ذات بينكم » . (١٢) العقد : « فالموت » .

عندى فيها بمحمودين[1] ولا مصيبين[2] . أمَا إنّى لو أشاء لقلت عَفا الله عمّا سلف . سَبَق الرجلان وقامَ الثالث[3] ، كالغُراب همَّته بطنه[4] ، يا وَيْحَه ، لو قُصَّ جناحاه وقُطِع رأسه لكان خيراً له[5] . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإنْ عَرَفتم فآزروا[6] . حقٌّ و باطل ، ولكلٍّ أهل ؛ ولئن أمرَ الباطل لقديماً فَعَل[7] ، ولئن قَلَّ الحق لرُبّما ولعَلّ[8] . ما أدبرَ شىء فأقبل[9] . ولئن رجعَتْ عليكم أمورُكم إنّكم لسُعَداء[10] ، وإنّى لأخشى أن تكونوا فى فَترةٍ[11] . وما علينا إلا الاجتهاد .

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

(١) عند ابن أبى الحديد وما عدا ل : « قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين » . قال ابن أبى الحديد : « مراده أمر عثمان وتقديمه فى الخلافة عليه » .
(٢) هاتان الكلمتان فى ل فقط .
(٣) يعنى عثمان ، وورد فى بعض خطب على : « إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه » . انظر ابن أبى الحديد (١ : ٦٦) .
(٤) ل فقط : « همه بطنه » .
(٥) ابن أبى الحديد : « يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيراً له من أن يعيش ويدخل فيها » .
(٦) المؤازرة : المعاونة . أى إن كان منكراً فأنكروه ، وإن كان حقاً فأعينوا عليه . فيما عدا ل ، ه : « بارزوا » تحريف .
(٧) ابن أبى الحديد : « أمر الباطل : كثر . وقوله لقديما فعل ، أى لقديما فعل الباطل ذلك . ونسب الفعل إلى الباطل مجازا . ويجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل ، كقوله :

* قد جبر الدين الإله فجبر *

أى انجبر » .
(٨) أى لئن كان الحق قليلا فربما كثر ، ولعله ينتصر أهله . عن ابن أبى الحديد .
(٩) عند ابن أبى الحديد : « وقلما أدبر شىء فأقبل . استبعد أن تقوم دولة قوم بعد زوالها عنهم » .
(١٠) ابن أبى الحديد : « أى إن ساعدنى الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله ورسوله ، وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيرة مماثلة لسيرته فى أصحابه ، إنكم لسعداء » .
(١١) المراد بالفترة : الأزمنة التى بين الأنبياء ، كأنه توقع أن يطرأ عليهم ما طرأ على تلك الأمم من الاضطراب وفقدان الرشد .